خطبة صلاة الجمعة 20/ 2/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كن لطيفاً)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ يُمْتَثَلُ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَبُ).

قال تعالى في وصف نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

قَالَتْ السيدة عائشة رضي الله عنها: (مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّومِ وَالصَّلاةِ» [الترمذي].

أيها الإخوة:

نحن في الخطبة الخامسة من سلسلة خطب عنوانها (**فضيلة... أخلاق تعاملية**)

الخُلق: هو السجية والطبع. وعرَّفه الإمام الغزالي بأنه: (هيئةٌ في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر، من غير حاجة إلى فكر ورويّة).

يطبع اللهُ تعالى أناساً على بعض الأخلاق النبيلة، بينما يحتاج آخرون إلى التدرب عليها والتطبع بها حتى تصبح طبعاً لهم وخلقاً.

بينما يطبع آخرين على خلال حميدة أخرى، فيحتاج الأولون إلى التدرب عليها لتصير لهم طبعاً وخلقاً. فيتساوى العباد في التشريف والتكليف.

فبإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانِكِ التطبع بالخصال الكريمة لتلتزمها. وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لايليق بمثلك.

وهذا هدف السلسلة.

سبق حديث عنوانه: لماذا هذه السلسلة؟، وحديث عنوانه: كيف يعرف المرء عيوب نفسه؟

وحديث عنوانه: كيف يكتسب المرء الخلق الحميد ويتخلى عن الذميم؟

ونبدأ اليوم بعد تلك المقدمات الضرورية بسطاً للأخلاق، عنوان خطبة اليوم: (**كن لطيفاً**).

ينزل رجل صباحاً ليقود سيارته ويمضي للعمل، فيجد آخر رَكَنَ سيارته بالموازاة مع سيارته وأغلق عليه، ينزعج إذ لم يجد رقم هاتف يتصل به، أو وجد واتصل ولم يجب أحد، فيكتب ورقة يقول فيها: السلام عليكم، لقد تسببت بتأخري عن عملي صباحاً، أتمنى عليك مراعاة ظروف الآخرين عند رَكْن سيارتك، وشكراً.

ألصق الورقة عند ماسح زجاج السيارة، واستأجر سيارة أجرة ومضى لعمله. في منتصف النهار أُرسِلَت لهاتفه المحمول وحدات بقيمة خمسمائة ليرة مع رسالة يعتذر فيها صاحب السيارة عن فعلته، ويتمنى عليه قَبول هذه الوحدات هديةً واعتذاراً.

اللطف: هو أن تصل إلى أَرَبِك في رفق.

دُعِيت مرةً لتقديم كلمة في ورشة عمل تتعلق بالاتجار بالأشخاص، وطَلَبت الإدارة أن يكون عنوان الكلمة (الاتجار بالأشخاص من وجهة نظر الشريعة الإسلامية)، وقد دُعي للمجلس وجهاء وكبراء.

لم يرُق لي هذا العنوان لأنَّ وجهات النظر تكون للبشر، وربما أخطأت وربما أصابت، أما الشريعة فلها حكم في المسائل لا وجهة نظر.

بدأت كلمتي بشكر الجهة الداعية والمنظمة لورشة العمل، وبشكر المتحدثين قبلي، ثم اخترت أن أقول:

أيها الإخوة والأخوات:

(اسمحوا لي أولاً أن أتمنى عليكم تغيير اسمِ مشاركتي لتكون (حكم الإسلام في الاتجار بالأشخاص) لأننا نعتقد أن وجهة النظر تكون للبشر، ووجهات النظر قد تصيب وقد تخطئ، أما شرائع السماء فليس لها وجهة نظر، ولكن لها حكم يسمو عن الخطأ، شاكراً تفهمكم) فأشار القوم برؤوسهم إلى الموافقة.

اللطف: هو أن تصل إلى أَرِبك في رفق.

يقولون: يمكنك أن تغمض عيني زوجتك عن شيء لا تحبها أن تراه؛ إذا قبَّلْت عينيها.

أيها الإخوة:

عدد سور القرآن أربع عشرة ومائة سورة وعدد أجزائه ثلاثون، وأحزابه ستون، وآياته ست عشرة ومائتين وستة آلاف آية –على قول– وكلماته سبع وثلاثون وأربعمائة وسبع وسبعون ألف كلمة –على قول–؛ الكلمة الواقعة في وسط كلمات القرآن: **(وليتلطف)** من سورة الكهف.

[ينظر: كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي وقد ذكر هذه الأقوال مع غيرها].

قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19].

وكأن اللُّطف واسطةُ العِقد في أخلاق المسلم، قارئ القرآن الكريم.

اللطيف: اسم من أسماء الله تعالى، وقد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، في ستة منها يقترن مع الخبير: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63].

قال المفسرون: الله اللطيف: هو العالم بدقائق مصالح عباده والموصلها إليهم في رفق.

وفي اقتران اللُّطف بالخِبرة إشارةٌ إلى أنَّ من أراد أن يتدرَّب على اللُّطف، فعليه التزود من العلم، وسنفصل فيه قريباً.

أرأيتم إلى الثلج يتراكم منه على الأرض أطنانٌ، لكنه ينزل من السماء نثرات رقيقة وحبات، ولو نزل من السماء أطناناً لقَتَلَنا، إنَّ الذي أنزله هو اللطيف الخبير.

أرأيتم إلى ماء المطر يملأ الأنهار والبحار والمحيطات، لكنه ينزل من السماء قطرات وبخات، ولو نزل من السماء أنهاراً لأهلكنا، إنَّ الذي أنزله هو اللطيف الخبير.

فالله لطيف يوصل إليك أَرَبك في لطف، ومن هنا قال الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19]، يلطف بهم في الرزق من وجهين:

يجعل رزقهم من الطيبات، ولا يدفعه إليهم مرة واحدة، بل يجعله دفعات ودفعات.

أيها الإخوة:

في المكتبات كتاب نافع أتمنى عليكم قراءته، اسمه (سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شمائله الحميدة، خصاله المجيدة) للشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله.

يتكلم الكتاب عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم الخَلْقِية والخُلُقِية، وهو ما يسمى في الاصطلاح: الشمائل.

لما وصل الشيخ للحديث عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، بدأ بمقدمة عن عظيم خُلُقه صلى الله عليه وسلم، ثم أنشأ يشرح أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فاختار أن يتحدث أول ما يتحدث عن لطف النبي صلى الله عليه وسلم، فمن أراد أن يكون على السُّنة فليكن لطيفاً، وأقرأ عليكم شيئاً مما قاله الشيخ: قال:كمال لطفه ولين عريكته صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

كان صلى الله عليه وسلم ليّن الجانب، سهل الخُلُق، حَسَن المعاشرة مع الأهل والأصحاب وسائر الناس، يعطي جليسه حظاً كبيراً من الانبساط والملاطفة وحُسْن المقابلة.

روى الترمذي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه كان إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشرة).

ومن لطفه صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يقابل أحداً بما يكره: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبَّاباً، ولافاحشاً، ولا لعَّاناً، وكان يقول لأحدِنا عن المعتَبة: «مالَهُ تَرِبت جبينُه!»)

قلت: وكان يقول إذا أراد نُصحاً وتصويباً: ما بال أقوام يفعلون كذا. حتى لا يُحرج أحداً صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ: بل كان صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناس لطفاً:

روى أبو نعيم في الدلائل عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناسِ لطفاً، والله ما كان يمتنعُ في غداةٍ باردةٍ من عبدٍ ولا أمة تأتيه بالماء، فيغسل وجهه صلى الله عليه وسلم بالماء وذراعيه.

وما سأله سائلٌ قط إلا أصغى إليه، فلا ينصرف صلى الله عليه وسلم حتى يكون هو – أي: السائل – الذي ينصرف عنه.

وما تناول أحدٌ يده قطً إلا ناوله إياها، فلا ينزع صلى الله عليه وسلم يدَه حتى يكونَ الرجل هو الذي ينزعها منه).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً، وألطفهم بأهلِه»** [الترمذي].

وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في بيته؟ فقالت: (كان ألينَ الناس، بسَّاماً ضحَّاكاً).

قلت: ومن لطفه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا عاد إلى بيته متأخراً مساءً سَلَّمَ تَسْلِيمًا يُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، وَلَا يُوقِظُ النَّائِمَ.... وهكذا تكلم الشيخ طويلاً عن لطف النبي صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

لئن كانت الأزمة قد أرخت بظلالها على الجميع، فأخبار من يقتلهم البرد والجوع والتشرد، وقصص من فقدناهم من أهل وأصحاب وأحباب، وتمالؤ الأمم علينا توجع الفؤاد المقروح، ولعلها تنعكس عنفا في ردَّات أفعالنا على مع من حولنا في الأسرة أو في السوق التجاري.

لئن حدث هذا فإنه لاينبغي أن يترك المرء نفسه للخرق والعنف بعيداً عن الرفق واللطف، وإليكم أموراً أربعة تدرب المرء على اللطف.

كيف للمرء أن يتدرب على اللطف؟

1-بزيادة العلم:

رأيتم أن اسم اللطيف اقترن في القرآن الكريم مع اسم الخبير، والخبير هو العالم بدقائق الأمور، فاللطف مقترن بالعلم، والخرق والطيش مقترن غالباً بالجهل، فاحرص على الازدياد من العلم وعلى

لزوم مجالس العلم، وأكثر من القراءة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وأخلاقه ليجعل اللطف محبوباً لديك مطبوعاً فيك.

2- بزيادة الذكر:

فكثرة ذكر الله تجعلك قريباً من المذكور، وتسهِّل عليك التخلق بالأخلاق التي يحبها الله تعالى، ومنها اللطف.

3- بمراقبة أهل اللطف من الفضلاء والتَّأسي بهم.

لتتعلم طرقاً جديدة لطيفة للتعامل مع الأحداث، وألفاظاً لطيفة تواجه بها مايزعجك أو ماتريد تحقيقه.

- ✓ لطفاً لا تركن سيارتك أمام المبنى. بدل: لاتضع سيارتك هنا يا...
- ✓ أرجو أن تُصَوِّب لي إن كنت مخطئاً، ثم تعرض ماقلته بالأمس أمام جارك. بدل أن تقول: أنت تفتري الكذب لم أقل كذا وكذا، بل قلت كذا.
- ✓ اسمح لي أن أخالفك الرأي في هذه المسألة. بدل: أنت على خطأ والصواب ما سأقوله لك.

وهكذا أيها الإخوة، يُعلِّمك أهل اللطف والفضل طرقاً وألفاظاً جديدة توصلك إلى أَرَبك برفق ولطف بدل الغلظة والخرق.

4- بمجاهدة النفس:

لأنَّ النفس حرون، تحب أن تكون غضبية سبعية، ومخالفتها بحملها على التخلق بأخلاق أهل الكمال كمال لها.

بهذه الأربعة يكتسب المرء لطفاً.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«ما شيء أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»** [الترمذي].

والحمد لله رب العالمين